دار العلوم والمتنبي فى لندن

بقلم عبد الرازق ابراهيم حمبرة
بعثة اللغة الانجليزية بجامعة لندن

بين دار العلوم والمتنبي محبة أكيدة وود متين، وقد عرفتهما فى مصر صديقين تجمع بينهما أواصر الدين، وأسباب اللغة، وعرفتهما كلا منهما أحب ما يكون إلى الآخر، لما بينهما من تشابه فى نباهة الشأن، وسمو المكانة، وبذل أقصى الجهد فى رفع علم اللغة العربية والتعريف بفضلها فى كل مكان.

وما كنت أحسبنى أظفر بالفرصة التى يلتقيان فيها فى مغارب الأرض، وأشهد كيف يكون تقدير الفضل والنبوغ والعبقرية، ممن يفهمون الفضل والنبوغ والعبقرية، حتى سنحت الفرصة فى أكتوبر الماضى، فى لندن حاضرة الدنيا وأم الأمصار، حيث بعث المتنبي حياً، واحتفل بعيده الألفي هنا، كما احتفل به فى مشارق الأرض، واشتركت لندن فى مهرجانه، وساهمت فى تمجيده، وأوسعت صدرها لحفلات ثلاث تغنى القوم فيها بذكاء المتنبي ونبوغه، وتحدثوا عن طموحه وآماله.

كانت حفلة السفارات العربية أولى الحفلات، أقيمت فى دار السفارة المصرية. وفى هذه الحفلة تم التعارف بين المتنبي والمحتفين به على يد برفسور جب أستاذ اللغة العربية فى جامعة لندن، وقد قدمه خير تقديم، وتكلم عن رحلاته بين البادية والشام ومصر والعراق، ثم ألقت رئيسة جمعية الشعر الإنجليزية وهى إحدى كرائم العقيلات شيئاً من شعر المتنبي، مما ترجمه بروفسور نيكلسون، أستاذ اللغة العربية فى جامعة كمبردج، فكان إلقاؤها جميلا جداً، وبخاصة إلقاؤها ترجمة قول المتنبي.

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها ... فى ليله فأرت ليالى أربعـــا
واستقبلت قمر السماء بوجهها ... فأرتنى القمرين فى وقت معاً

وكانت الحفلة الثانية حفلة الجمعية الآسيوية الملكية برياسة بروفسور مرجليوث، وتكلم فيها برفسور نيكلسون فأبدع فى تحليله ودراسته للمتنبي، وبخاصة موازنته

بينه وبين شكسبير وبوب ، فحمد له ناحية الشعر الذى جرى مجرى الأمثال .

أما الليلة الثالثة فكانت فى دار النادى المصرى ، أقيمت الحفلة فى يوم السبت ١٧ من اكتوبر سنة ١٩٣٦ . وكانت فريدة فى نوعها ، بديعة فى تنظيمها ، بدا فيها المتنبي على غير عهد الناس به شاعراً يكتب للمسرح ويبدو هو نفسه ممثلا قديراً .

ولم لا ؟ ألم تكن حياة المتنبي قصة مسرحية طريفة قام هو فيها بالدور الأول ، وأنشد فى كل فصل منها من آيات الحكمة والموعظة الحسنة ما لم يفعله شاعر قبله ولا بعده فى اللغة العربية إلا شوقى رحمه الله ؟

وقصة ذلك أن لجنة النادى عهدت بأمر حفلتها إلينا أبناء دار العلوم ممثلين فى شخص أخى إبراهيم أنيس ورأينا نحن أن نكون كالعهد بنا أكفاء لكل ما نضطلع به ، وأن تكون حفلتنا على غير مثال سبق . ماذا نفعل ، ونحن نعلم من برنامج الحفلتين الأوليين أن المتنبي سيكون موضوع كلام طويل وخطب ودراسة وتحليل لشعره ونفسيته ، وسوف تترجم بعض آثاره ويتلى بعضها باللغة العربية ، وسوف يتحدث عن ذكائه ورحلاته إلى سيف الدولة وكافور وابن العميد ؟

« ما رأيكما فى قصة مسرحية عن المتنبي ؟ » كان هذا رأياً عرضه الأستاذ خلف الله ونحن فى طريقنا ذات ليلة إلى بيوتنا قائلا : أما أنا فأتعهد أن أمدكم بالحوادث . ولكن من الذى يتخير منها حادثة تكون رواية من فصل واحد ؟ ومن الذى يستخرج من شعر المتنبي قصة مسرحية تجمع بين الفكاهة والصدق وسهولة الفهم . ومن أولئك الذين يلقون شعر المتنبي تمثيلا فيحسنون إنشاده ويظهرون جزالته إذا لم نكن نحن الذين يفعلون ؟

ألقينا عبء التأليف والإشراف على إخراج الرواية واختيار الأشخاص على أنيس فكان جوابه « حمل بعير وأنا به زعيم » . ونحن نعلمه موهوبا فى هذه الناحية ، مغرما بالتمثيل والتأليف المسرحى ، وعنده روح الفكاهة العذبة ، وهو كفيل بإخراج رواية تسر الجمهور وتحبب إليه السيد أحمد بن الحسين - المتنبي - ولأنيس كثير من السوابق فى هذا الباب ، وعندنا أشخاص الرواية أجمعون . وكان على المؤلف أن يكتب لكل منهم دوراً يناسبه على أن تتفق الحقيقة والخيال إلى حدما .

أما أشخاص الرواية فهم أربعة :

سيف الدولة — وقد مثله أنيس خير تمثيل .

ابن خالويه ـ إمام من أئمة النحو كما نعلم جميعاً ، وكانت بينه وبين المتنبي عداوة يذكيها أبو فراس الحمداني من ناحية واعتداد المتنبي بنفسه وعدم اهتمامه بأقوال النحاة ونقدهم من ناحية أخرى ـ قام بهذا الدور عبد العزيز أمين خير قيام ، ونال إعجاب الذين شهدوا الحفلة جميعاً . وذلك أنه وافق دوره كما «وافق شن طبقه» في المثل العربي ، وكانت شواهد الاستغاثة وأمثله التعجب تثير من إعجابه . ويبدى هذا الإعجاب بطريقة تثير السرور ، وتحمل على الضحك والاستحسان .

المتنبي ـ مثله خلف الله . ومن أحق منه بتمثيله ؟ ! إنه شاعر جهير الصوت ، عربي الوجه واليد واللسان . حلو الإلقاء والنبرات .

أبو الحسن ـ راوية المتنبي وصديقه وناصره على ابن خالويه ـ وهي شخصية تخيلها أنيس ، كما تخيل أنني أحفظ من الشعر العربي ـ للمتنبي وغيره ـ مقداراً لا بأس به ، ولم أكن قد علوت مسرحاً قبل هذه المرة ، ومكث أنيس يعلمني زمناً كيف أكون «أبا حسن» ، فكنت بعد لأي وعناء وتخوف .

وعند ما لبست العباءة والعقال تملكني السرور ، وقلت

ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف

وعند ما انتهت الرواية طلبت من أنيس أن نعيد تمثيلها مرة أخرى لأنفسنا من غير الجمهور ، فضحك مني ولم يوافقني أحد من بقية الإخوان .

أما الذين شهدوها فقد سروا جداً ، وكان من بينهم الأستاذ عبد الرحمن بك حقي القائم بأعمال المفوضية عندئذ ، والمرحوم حسن باشا خالد أبو الهدى رئيس وزارة شرق الأردن وبروفسور جيب ودكتور تريتون من مدرسة اللغات الشرقية والسير دنصون روس مدير المدرسة .

وكانت الحفلة في جملتها «دار العلوم والمتنبي في لندن» كما قال جل الذين شهدوها ، وكانت خير ما يمكن أن يحدث في مثل هذه الظروف .

عبد الرزاق ابراهيم حميده
بعثة اللغة الانجليزية بجامعة لندن